الماءُ يَحْتَجِبُ

شـــــعـــر

بسام صالح مهدي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني:

E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

قصائد

الماء يكذب

قَمري
على شفتيكَ يجري
يا نهرُ
كم تَسعى لغيري؟
أورثتني..
شجرَ الدعاءِ
وشيبَ سُنبلتي
وجذري

أورثتني..

صوتَ الأذانِ
يفرُّ من فَجرٍ
لفجرِ

أورثتني..

وطنَ الجباهِ
السمرِ
في شلال شَعرِ

أسميتني :

وجعَ الجنوب..
رغيفَ تَنورٍ
وجَمرِ

أسميتني :

(الجسرَ المُعلّق)[1]

واقفاً

في خَصر نهرِ

أسميتني :

مالستُ أدري

عذراً غَفا في حُضن

عذرِ

خوفي عليكَ

كخوفِ كلِّ الماءِ

من أوجاعِ بحرِ

---

(١) جسرٌ يربطُ بين منطقة الكرخ والرصافة من بغداد من جهة شارع (أبو نوّاس) ولقد تعرض للقصف وكانت إعادة بنائه تعدُّ معضلة لأن خبرة بناء هذا النوع من الجسور قليلة في العراق ومع هذا أعيد بناؤه.

خَوفي عليكَ
وكُنْتُ قد ألقيتُ
في شفتيكَ بَذري
رمِّم بيوتَ المتعبين
بعشقِ سنبلةٍ لقطرِ
بفتاتِ أغنيةٍ تَفوح..
حروفها ضحكات عِطْرِ
كانت حَماماتُ الوداعِ
تنامُ في أعشاشِ فَقرِ
كانت ملائكةُ الصباحِ أصابعي..
إذ كنتَ خَمري
ولدَ الصباحُ وأنتَ لي عينانِ
من سَعَفٍ وتمرِ..
والطائراتُ تَلوكُ أسماءً
وتوجعُ ظهرَ جسرِ
أحتاجُ عمرَ الليلِ

كي أصفَ انطفاءاتي وذُعري
أحتاجُ كم وطناً
وكم حضناً
وكم أمّاً لصدري؟
فأوائل الحنّاء تَعْلَمُ
أنَّ (خُضْرَ الياسِ)[1]
نَذْري
والأولياءُ الصالحون مآذنٌ
وَرَمادُ ثأرِ
أحتاجهُ وطناً
يحطُّ على مآذِنِهم كطيرِ
دوراً وأكواخاً مُضيئاتٍ

---

(١) طقس اعتقادي في الموروث الشعبي؛ نَذرٌ ينذرُ لعودة الغائب أو لجلب الحبيب وذلك من خلال إيقاد شموعٍ وتثبيتها على لـــوحٍ خشبيٍّ مع أغصان الياس ثمَّ يترك ليعوم على سطح نهر دجلـــة، وهو نذرٌ يتعلق بالشخصية الدينية (الخضر صاحب النبي موسى).

على (يشماغ)[1] بدرِ
غيماً يخافُ الصحو
يَستلقي ...
على عَتباتِ ثَغرِ
حزناً رقيقَ المُوجِ
لا يقوى
على إبحارِ خَصْرِ
أحتاجُ عطرَ الراحلين
بخور أدعيةٍ
وسِحرِ
أحتاجُ أنجُمهم
كأطفالٍ من الكلماتِ سُمرِ
أحتاجُ لونَ عيونهم
مطراً خرافياً
لِقَفْرِ

---

(١) الكوفية العربية.

ماءٌ تَنفَّسَ
قربَ ماءٍ أسودٍ
في جفنِ سَطرِ
ماءٌ لهُ قلبُ الصحارى
لابِدٌ في حُزنِ بِئرِ
نهرٌ عَجوزُ الوجهِ
مُحتَشِدٌ على وجهِ (المعرّي)
هل في المدائن مثلُ نَهري ؟
الله ..!!
لا نهرٌ كنهري
الله ..!!
كلُّ الماءِ يكذبُ ..
كلُّ هذا الماء يُغري
فالأصدقاء الخائنون
نَمَوا على أكتاف صَبري
أكلوا من الشجرِ العَقيمِ

وأنجبوا ...
أسماءَ كفري
لبسوا ثيابَ الموت
واختَبؤوا جميعاً
خَلْفَ ظَهري
نَبَتوا على الأكتاف
أسماءً مُلَوَّنةً بمكرِ
خانَت أصابعهم يدي
وتقاسموا أحجارَ قَصري
(تجري الرياحُ)
إذن .. وتَجري
لكن وربِّكَ
لستُ أجري
ياريح كوني كيفَ شِئتِ
إذن ..
(وغرِّي الآن غيري)

أرملةٌ في جــنوب القــلب[١]

مازلتِ تَعتَقِدينَ
أنَّكِ سنبلَةْ
أوأنَّكِ امرأةٌ
بطعمِ قرنفلَةْ
أو أنَّكِ النهدُ الوفيّ لِرَبِّهِ
مهما تباعدَ أو غَفا
أو أغفَلَهْ

(١) أرملة من جنوب العراق فقدت زوجها في الحرب.

ما زلتِ تَعتَقِدين
أنَّكِ بذرةٌ
كانت بأسئلة السماءِ
مُبَلَّلَةْ
تَهَبينَ للفلاّحِ سُمْرَةَ خَدِّهِ
وتعلِّمينَ الماءَ
نُطْقَ البسملَةْ
تَتَجمَّلينَ لوجهِ حزنٍ عائدٍ من حَربِهِ
وتلوِّنينَ تبدّلَهْ
وتُعلِّقينَ القرطَّ في أغصانهِ
وتُلَملِمينَ الضوءَ
حَولَ السلسِلَةْ
وتُهَيّئينَ سريرَ خصرٍ
مُطْفَأٍ بالفقدِ
بالرجل الذي ما أشعَلَهْ
والزوجُ يُقبلُ
من أعالي الحربِ مُنكَسِراً

ليدخلَ في سرير الأسئلَةْ

ومضى ..

وكان الموتُ يَطوي ظِلَّهُ

ويدٌ تَرشُّ عليهِ

حَفْنَةَ أمثلَةْ

لم يترك الزوجُ

الفقيد فُحولةً

ذكرى..

وقد تركَ الثمارَ مُدلَّلَةْ

مازلتِ حتّى الآن

تحت عَباءَةِ الرحمن

تَنتَظِرينَ ظلاًّ أرسلَهْ

ما زلتِ تَدَّخِرينَ

بعض صفاتهِ

تَتَحسَّسينَ

دنوَّهُ وتوغُّلَهْ

مَن في زوايا الروحِ

يزرعُ صوتهُ
ليعلِّمَ الأحزان
أنْ لا تسألَهْ؟
مَن أودعَ المعنى
بكاءَ حَمامةٍ ماتت
وأوصتْ بالبكاء لِبُلْبُلَةْ؟
فلقد ذَوى
عشرونَ نَذراً
في شفاهِ الماءِ
واحترقتْ
صلاةُ السنبلَةْ
ظهرَ الهلالُ
على مَساءِ الشَّعرِ
والحنّاءُ
تجلسُ فوقَ رأسِ الأرمَلَةْ

الله يا امرأةً ..

حَليبُ عيونها صبحٌ
تلوّنَ من ليالٍ مُقبِلةْ

الله يا امرأةً..

أخافُ بذكرها
أنْ أشتهي موتي
وأنْ أتسولَّهْ

مُتوضئٌ وجهُ الجنوبِ
بحزنِها
يمضي ليمسحَ في خفاءٍ أرجُلَهْ
صلّى وأهدَرَ دمعَتينِ
وليلةً
ودُعاؤهُ يَفْتَضُّ سِرّاً أهمَلَهْ
هذا جَنوبكِ
في جنوبِ القلبِ مَنْزِلُهُ

وكم وطناً يخبئُ مَنزِلَهْ
هو طفلُ هذا الماءِ
وابن النخلةِ الأولى،
سليلُ قبائلٍ مُتَنَقِّلَةْ

كم قَمَّطَتهُ الريحُ
كم غنّى لهُ شَجرٌ
وغيمٌ في المرايا غَسَّلَهْ
كم أرضَعَتهُ الشمس
كم سَهرت له النجمات
كم نزلَ الهلالُ وقبَّلَهْ

هذا جنوبكِ .. لم يَجد أسماءهُ
إذ أنتِ من أسمائهِ المتحوِّلَةْ
فبأيِّ طَعمٍ تَمضَغينَ الحرب
لُقْمَتها بقايا الميتين وقُنبلَةْ!!

شامةٌ في وجـــهِ القرية

جدّي هو النهرُ
المعطّرُ بالسحابَةْ
هو كل من أخفى بضحكتهِ
عذابَهْ
كلّ اليشاميغِ التي أسمَيتُها
صبحاً وغابَةْ
هو شامَةٌ في وجهِ قريتهِ
وعنوانُ الجنوبِ
هو نصفُ حزنٍ
نصفُ أغنيةٍ
وموّالٌ على قَصبٍ... بعيدْ
يبكي إذا بكت الربابةْ ...

متوغلٌ
في بيتِ شِعْرٍ
تلمعُ الكلمات
بينَ شفاههِ
وله مراثي كلّ من فاضوا
ومَن لم يتركوا
أثراً سِواهْ
ومضى لأكبر مأتمٍ في الأرضِ
يزرعُ دمعةً بين الضحايا
ومشتْ خُطاهُ على ضَميري
واختفى...
خلفَ اكتهال الصوتِ
خلفَ أنوثةِ امرأةٍ
لها
لونُ الشظايا
جدّي هو اللحنُ المسافرُ
حين كانت جدّتي

وجعاً ونايا
لم يَبتسم جدّي لشمس الـ(غـير) قالَ :
الشمسُ فوق بلادنا تَهبُ الهدايا !!
وتَعَـلَّمَ الزيتونُ
أنْ يَرفو بذاكرتي ملايينَ الوصايا
أنا من يسافرُ خلفَ وجهكَ
كاشفاً عمَّن تُلَثِّمهُ النوايا
وأنا المُكسَّرُ بالحـنين
أنا المطرَّزُ بالرزايا
وأنا الملثَّمُ بالهلالِ
على يَنابيعِ العـطايا
وفمي تَثَلَّمَ بالنعـوت
وأخـفقتْ عيناي
واصطفَّ البكاءُ
على البقايا

لا مسجدٌ في الأرضِ
يعرفُ ما صلاتي
لا تَسابيحي لها أسماؤها
وجهي كَمِئذَنَةٍ تُصلِّي
حين تَسجدُ
تسكبُ البيض المُخَبَّأ في المرايا
لا ظِلَّ للكلماتِ في معنىً
يرفرفُ كالحمامةِ قربَ مِئذنتي
وللكلماتِ أمطارٌ
لها أعشاشُها
وليَ الزوايا !!
مُذْ كانَ جَدّي مِشطَّ نخلٍ
كان في التمرِ التماعُ الأغنيةْ
مذْ كان..
كان الشِعر أقسى أمنيةْ
لا إرثَ لي إلاّكَ

أنتَ الآن ذاكرتي
ومملكتي القديمةْ
وأنا الحزينُ على اصطيادِ الحزنِ
في أوكارهِ
أنا من يلمُّ الريش
من أقصى المنايا
أنا من يلمُّ الريش
من حزن الكراكي
والقطا
ومن السبايا
كم شاءَ جدّي أنْ يُعلِّمني
اصطيادَ الطيرِ
لم تَعْلَق بمهنتهِ يدي
أبداً ..
وما تبعتهُ في دربٍ خُطايا ....!!

عينٌ في البعيد

على العينِ التي اخضَرَّتْ
دَمٌ أنقى
وفيها ضَوءُ شَكٍّ
جَفَّ فاستَسقى
وفيها من يَصون النجمَ
يَرعى الماءَ
يَسرِقُ غَيمةً
ويلوِّنُ البرقا
وفيها الراحلونَ
لوجهة الأعماقِ
كي يتـزايدوا

في جوفها عُمقا
وهم جَمعوا السحابَ
لنخلةٍ حُبلى
وكانت قبلُ
من أحزانِهم تُسقى
وهم كسروا طريقَ العشقِ
فانكَسَروا
وباضَ الحزنُ في أعشاشِهم
عِشقا
وهم نَبذوا حَنانَ الخُبزِ
لم يتسلقوا الأعذارَ
نحو سمائها الأرقى
فألقتهم هَزيمَتهم
إلى البعدينِ
بُعدِ جَنوبهم
أو بُعدِهِ الأشقى
وأميُّونَ

والعطشُ المقدسُ
كم رَمى كلماتهِ فيهم
ولم يَتعلَّموا نُطقا
عراقيون من تَعبٍ ؛
تدلَّوا من سماءِ الجوعِ
كي يجدوا لها رِزقا
وهم كانوا جُنوداً
زاولوا موتينِ
وابتدأوا بموتٍ
يُشبهُ الخَلْقا
تَدلَّوا مرةً أخرى
وخانوا البرَّ
خانوا الجوَّ
وانتسبوا إلى الغَرقى
مَضَوا في عُتمةِ الرائين
يَكْتَشِفُونَ ..
يَنْكَشِفُونَ..

هم من يجهلُ الفرقا
ويقترحونَ..
حضنَ أمومةٍ أبقى
ويبتكرونَ..
لونَ عيونها الأنقى
بعيداً عن تَـلَثُّمِهم
قريباً من تَثَلُّمِهم
هناك اختارَ
أنْ يبقى
هناكَ الأحرف الأولى
تكذبُ ظنَّها الكلماتُ
حين تُدَثِّرُ الصدقا
تصدِّقُ ..
وهو لا يدري
بأنَّ لصدقِها ضوءً
على أبوابهِ يُلقى
بأنَّ لكلِّ وجهتهِ

غروباً في عراءِ الثوبِ
تُشبهُ شمسهُ فتقا
وشرقٌ يشبهُ الأشجار
حين تخونُها
أوراقُها ..
أثمارُها..
تشقى
فيقترحُ النساءَ
لسمرةِ الشفتينِ
والعطرُ البنفسجُ
فوقها استلقى
ويقترحُ الفضاء الرحبَ
يحملُ بسمةَ امرأةٍ
ويحملُ أعيناً زرقا

ويهدي شمسهُ صوفاً
لِتَغْزِلَ غيمةً شقراء
في أحضانهِ
ترقى.....
وتنسجُ وردةً عَلِقَتْ
بضحكتهِ
يُقَبِّلُها
وقمحُ صَلاتهِ مُلقى

آمن سِرًّاً

وعادَ
إلى أرض أسمائهِ
يفتِّشُ عن وطنٍ تائهِ
وعن منزلٍ
في أقاصي الحنين
يُؤثِّثُ أسرار إيوائهِ
تَلَثَّمَ مثل الهلالِ
وعاد..
يُلَمْلِمُ أغصان أضوائهِ
مشى
حافي القلبِ فوقَ السماءِ

وأغرى النجومَ بعليائهِ
تَثَلَّمَ من مَطرٍ في الجنوب ..
فَرمَّمَ ألوانَ أعضائهِ
فأعينهُ
أرض كلّ المساجدِ
صلّى بها
طَعمُ إيذائه
أبعد ابتهالاتِ آلائهِ
منازلُ تُبنى بأخطائهِ
مَدائنُ ..
لا تستَحي من يديهْ
أنُوثَتُها بعض أعبائهِ
ستورقُ أجسادها بالطيورِ
فَهُنَّ ابتكارات إعيائهِ
أراملُ..
خلفَ رمادِ الوفاءِ
تَجَمَّلنَ ليلاً

لإرضائهِ
ولم يرضَ بالطين
كان الملاك يُرَتِّلُ آيات إغفائهِ
غفا واطمأنَّ..
لعطرِ الأنوثةِ
يلتفُّ في خَصرِ حوائهِ
غفا واطمأنَّ
فوجهُ الرغيفِ
تَعطَّرَ من نار أجزائهِ
غرابيلُ للبسماتِ الصغيرة
يَنْثُرنَ ..
أسرارَ أهوائهِ
فَمشَّطَ حزناً لبدو الضياعِ
فلا حُزنَ
في رأسِ صَحرائهِ
وأورثَ كلّ انكماشِ النعوت
وكلّ احتمالات إغرائهِ

وكان نبيُّ الخُطى التائهات
يُدثِّرُ
أنفاسَ آبائهِ
فآمنَ سِرّاً بأسمائهِ
وماءً تَسلَّل من مائهِ
وآمنَ بالموت حتى رآه
يلوحُ على دمعِ أبنائهِ

شهریات

لا وطن بلا لفظ سليم

(١)

باعوني إلى الأعداءِ
بِعُتهمو.. إلى قلبي
وإني تاركٌ بغداد
تَقضِمُ طِفلها
وتباعُ بين الحربِ والحربِ
وإني تاركٌ قطعانَ جدّي
نَهبَ أصحابي
وأصحابي إذا جاعوا
تناهَوا في أذى البيداءِ كالذئبِ

صلاةُ الخائفينَ

وموتهم معنى
صلاةٌ لا تُصَلَّى الآن للربِّ
لغاتٌ نِصفها كالماءْ
نصفٌ من براري الشَّكِّ
تَلهَجُ في عُرى الأسماءْ
أو في وحشةِ الجُمَلِ التي ذُبِحت
وما رُحِمَت.. فأخوة يوسفٍ رحماء
ما قتلوهُ بل ألقوهُ في الجبِّ
وأعجمَ في لساني الاسم
اسمكَ أنتَ !!
لا وطنٌ بلا لفظٍ سليمٍ
لا ولا معنى بلا وطنٍ
ولا وطنٌ بلا حبٍّ
سلاماً أيها المشنوقُ بين الرومِ والعربِ
وفي الساحاتِ في الطرقاتِ في الأعراسِ
هم لبسوا دماً

ولبستَ ظلَّ الله
ذنباً ليس كالذنبِ
فيا كابوسَ من ناموا
ويا فزاعةَ الموتى إذا قاموا
وجدتُكُ.. لا مُهابَ الحقلِ
كم لصٍ يُغيرُ الآن
من شرقٍ ومن غَربِ
جلستَ كخمرةٍ في الكأس
يجلسُ حولكَ الندماء
جيرانٌ وأصحابٌ وأعداء
ونخبكُ أيّها المشروب والمقسوم بين
الحزبِ والحزبِ
وصرتَ مُفسّرَ الأحلامِ
والأضغاث ..
عُقبُ سيكارةٍ وحشيشة المسطول
قطرةُ خَمرةٍ غَذَّت دَمَ السكران
أدمنَ أن يرى وطناً بلا شعبِ

لقد سقطَ العقالُ الشهم
ألقوه فكان سحابةً حمراء
ذابتْ سالَ منها الماء أحمرَ من دمٍ
سفكوهُ بين الدربِ والدربِ

(٢)

ليحتفلوا.. بحفلِ الموتِ
غانيةٌ تبيعُ بكارةَ الشرف
المعطَّرِ بالخزامى
بالدم النبويِّ
بالرجلِ العجوز يُخبئ الأولاد تحت ردائهِ
لا شيء يمنعُ قاذفات الموت أن تصل اليتامى
لا شيء .. طَعمُ حَلالنا
طَعمٌ يخالطُ بين فضتهِ الحراما
كانوا بياضاً ناصعاً كالله
حتى حُمِّلوا فحماً،

رمادُ عظامهم
قضمَ العظاما
- ويحي..
كبيراً .. كم تنامى
هو حُزنهم..
مطرٌ يُجَرْجِرُ بعضهُ
خجلاً وما ترك الغماما
كانوا كراماً
يُطعِمونَ الناس
جاعوا
لم تُمدَّ لهم يَدٌ
أنِفوا السؤال، وكيف ؟.. لا !! كانوا كراما
فرغتْ بيوتهمُ
وهم قد أثَّثوا - وهماً - وقالوا البيت نملأهُ كلاما
عاماً فعاما
سكتوا وما نطقوا

وحرباً بعد حربٍ
والحروب لها يتامى
أواه..!!
كم يبكون
ما سألوا على آبائهم
الجوعُ أنساهم
ووجهُ الخوفِ
أطعَمَهم صياما
عاماً فعاما
مرّت سنونٌ متعبات
وجِمالها عَبرتْ صحارى
لم تُفتِّش أيَّ بئرٍ
لم تُحدِّق بالسماء
ولم تصدِّق بالسرابِ
وحشّدت عَطشاً تهدَّم وانبنى
من طوب دورِهمُ رماداً أو ركاما
عاماً فعاما

الروم جاؤوا في ثيابٍ زرق
واتبعوا مذاهبَ أهلنا
نفخوا طوائفهم
وأَعْلَوا في مناكبها اللئاما

أعيدوا لي الآن أمِّيَتي

سَلِمْتَ مِن الحِبْرِ يا صاحبي
وأمَّا أنا فابتَليتُ بهِ
كَتَبْتُ / كُتِبتُ
وها أنا أندَمُ ..
أني تَعلَّمتُ يوماً
وأني قَرأتُ كِتاباً
وأني كَتَبْتُ قصيدةْ
فكم أتعبتني دروبُ المدارسِ؟ أتعبني أصدقاءُ الطريقْ
فعدتُ بنعلينِ مَخْصوفَتينِ
وثوبٍ تُرَقِعُهُ الحادثاتُ

وعدتُ لذاكرةٍ لم تجد نَفسها
بين أنقاضِ بيتٍ وبيتِ

❖❖❖❖❖

سَلِمْتَ مِن الشعرِ يا صاحبي
فهو علَّمنا أن نُدخِّنَ
حتى تجيءَ القصيدة
وإذ لا تجيءُ فنسعُل مُختَنِقينَ بأحزانِنا
أعيدوا لي الآن أمِّيتي
أعيدوا لي الآن بدويْ
وماشيتيْ والصحارىْ
وفزاعتيْ والحقولْ
أعيدوا لي الآن ما تَشتَهونَ مِنَ الضائعاتِ
سأقبل !!
على أن يكون الذي سيعودُ إلى حَوزتي أولاً..
كلُّ أمِّيتي ثم ما تَشتهونْ

وتبَّاً لكلِّ المعارفِ
تُرجَزُ ما بين أنياب من ظفروا بالحروبْ
وتبَّاً لكلّ الأناشيدِ
تُنْشَدُ عند وقوف الملوك على موتنا
وعند وقوف الذي لا يُراهنُ، أيُّ الأناشيدِ أجمَلْ
وتبَّاً لكُلِّ القصائدِ
إذ لا تُباعُ كَلوحَةِ رَسَّامِنا في المعارضْ..
ويبقى على الشاعر الفذِّ أن لا يَمدَّ يداً ويعيشْ
وتبَّاً لكلِّ الذين يَظنُّونَ أنفُسَهم مؤمنين بنَجمٍ بعيدٍ
يعودُ يُطَبِّبُ أحزانَهم
ويحنِّي البيوتَ بحنّائِهِ
وحناؤه من رمادْ
وتبَّاً لمن قد أفاضَ على همِّنا
بالكلامِ النبيلِ

❖❖❖❖❖

سَلِمْتَ من الشِّعْرِ ياصاحبي
وأما أنا فتعبتُ
وآمنتُ بالخوفِ
بالصمتِ
بالخرسِ الأبدي
وتُبتُ
ولستُ الذي يحتمي بصَديقٍ
ولستُ ..
تعبتُ وكنتُ أظنُّ الكتابةَ خيراً
إلى أن كُتِبْتُ
وكنتُ أظنُّ القصيدةَ ربَّاً
ولم يَرزُقِ الربُ عبداً
وها قد كفرتُ
رعيتُ الكلام وقطعانَ ماشيةٍ في حُقولِ المعاني
وبدَّدتُ كلَّ الأغاني
وكانت خرافي تُرافقني

وتَسْتَرِقُ السمعَ حين أقولُ القصيدةْ
وكانت خرافي سمينةْ
دخلتُ المدينةْ
وصلتُ إلى القصرِ
عند الأميرِ
وفي حضرةٍ من جَلالٍ بَهيٍّ وقَفتُ
لأمدحَ مولايَ
وكان أبو الطيبِ المتنبي
على طَرَفٍ مِن لِساني
وكان حَبيبٌ يُلَقِنُني بالمعاني
فكم بيتِ شعرٍ حَفِظتُ ؟؟
وإذ بالخراف التي كنتُ أُطرِبها في الطريقْ
غَدت شعراءْ
وألقت بأصوافِها والجلودْ
وإذ بالأميرِ استدارَ بسِحنَتِهِ نحوها

وأصغى لها
فصَرختُ :
ـ أنا يا أميري!! أنا الشاعر العربيُّ وهذي ...!!!
وأومأ لي ظلُّ سبابةٍ .. فصمتُّ
وباشرتِ المدحَ كلُّ الخراف
وكان الأميرُ بها طَرِباً
والقصائدُ شِعري الذي قد نَظَمْتُ

❖❖❖❖❖

سَلِمتَ من الشِعر يا صاحبي
وأما أنا ..
ما سَلِمتُ
ألم تشهدِ الحزن في مُقلَتي؟
ألم يشهدِ الأخرون عَلَي ؟
وأعلمُ أن ليس مِنهُمْ يدٌّ قادرةْ
وأعلمُ أنهمُ الآن لا يملكونَ رجوعَ الزمانِ

ومثلي يُطالِبهم أنْ يُعيدوا له المستحيلْ

❖❖❖❖❖

سلِمتَ من العلم يا صاحبي
أبارِكُ أمَّكَ إذ أنجَبَتكَ بِرِيفٍ قَصيٍّ
ولم تسعَ يوماً إلى المدرسةْ
فما نفعُ أنْ يَغْرَقَ المرءُ بين الحروفِ
وبين كثيرٍ من الأسئلةْ
وتمضي السنونُ عليه
تَعَلَّمْ .. تَعَلَّمْ .. تَعَلَّمْ!!!
فسوفُ تكون كسحليةٍ
تصعدُ الآن سُلَّمَ دائرةٍ للحكومةِ بائسةٍ ..
تَعَلَّمْ ..!
وسوف تجوعُ من العلمِ والشعرِ
سوف تُساقُ لكي تتظاهرَ
تشجبُ مُستَنكِراً
والجماهيرُ تَشجُبُ

تَصرخُ تَصرخُ !!
تحملُ لافتةً لا تعي ما يرادُ بِمَضْمونِها
وصورةَ من حَكموكْ
سترفَعُها فوق رأسكْ
لماذا تردُّ لهم دَينَهمْ ؟
فهم علَّموكَ وهم ألَّفوا قَلبَكَ الصلدَ
ولم تَحفَظِ العهدَ أنكَرتَ كلَّ المَكارِمِ والفيءْ
وأنكرتَ تَقبيلَ كفِّ المُبجَّلِ ..
أنكَرتَ..
أنكرتْ..
وها أنتَ دوماً تُجرُّ إلى المعركةْ
فأنتَ الذي ستكون الشهيدَ على جَهْلِهِ
ماتَ من أجلِ أنهُمُ علَّموهْ

❖❖❖❖❖

سَلِمْتَ مِن الحِبِّ يا صاحبي
فحمداً لقلبك حين تَزَوَّجت بامرأة من قُراك
وبارَكَ ربُّكَ، لم يكنِ الحبُّ مِفتاحَها
فلا امرأةٌ في زمانكَ
إذا ما أحَبَّتْ أصيبت بِداءِ الوفاءْ
ولا الحزنُ حُزنُك حين تُحِبُّ
وتبكي وأنتَ تظنُّ الحبيبةَ قد شاركتكَ البكاءْ
سلمتَ منَ الحبِّ أنتَ على الأرضِ أرضٌ
وأمَّا أنا..
فنصفيَ أرضٌ ونصفي سماءْ
تَقاسَمَني الحِبرُ والحبُّ
ضاعَ اتجاهُ السحابةِ
تُمطِرُ حِبراً وتُمطِرُ ماءْ

❖❖❖❖❖

سَلِمْتَ مِن البيع يا صاحبي
فاحمد الله
فإن الذين يباعون في عَصرِنا من عَبيدٍ
هُمُ من تَملّكهم حَرفُهُمْ

❖❖❖❖❖

سَلِمْتَ مِن الحِبْرِ والشعرِ والحبِّ والبيع يا صاحبي
سلمتَ قليلاً سلمتَ كثيراً
سلمتَ .. سلمتَ ..
ولم أسلمِ
عَثَرْتُ على الندم المستحيل
فلا نَدَمٌ بعد لم أندَمِ

إليك طبعاً .. من سواك تكون له

ـ (لم تَرتَجِفْ شفتاي
عند نزولِهِ
لم تَعتَكِرعيناي
عندَ حُلولِهِ
الموت مِحنتك الأخيرة
فارتكبْ بطلاً
وأغمض ساعديكَ بطولهِ).

❖❖❖❖

ـ حدثتَ نفسكَ هكذا.. ؟

أفعلتها.. ؟

أبداً..!!

ولا عرقٌ رمى بخجولِهِ

فلأنتَ أوّل من رضيتَ بذلةٍ

وأقاتَ عمرَ

نحولِها بنحولهِ

وطنٌ..

وأنتَ رضيتهُ كمؤجلٍ

ولبثتَ فيهِ وعشتَ في تأجيلِهِ

ونسيتَ أن تنسى..

أخذتَ بقاءهُ

ويلي عليكَ..!!

قبلتَ بعدَ قبولِهِ

يا أخرسَ العتبات

لا تومئ

فلن تَقوى على تحويلهِ

ورسمتَ دائرةً
بأصبعكَ الظلام
على الهواء..
فأشرقت بذهولهِ
(الشمسُ)..
هل بعدَ ابتكاركَ من يرى صبحاً؟
وكنتَ سعيتَ في تضليلِهِ
لم تختبر زمناً
جديداً غاضباً..
الآن فاجأك احتمالُ حُصولهِ
خلّى أكفَّ بلادهِ مرفوعةً
ومضى لغير جبالهِ وسهولهِ
رمليةٌ عيناهُ
صحراءٌ بلا عطشٍ
يرادُ بها فناء خيولهِ
أدخلتَ قبراً ؟
كم حسبتَ لنصرةٍ

زمناً ؟
وأنتُ سرقتهُ بدخولهِ!
لا لم يَخُنكَ سِواكَ..
فضَّلتَ البقاء.. على الخلودِ
وعشتَ في تفضيلهِ
لم ترتجلْ سَفراً..
فسافرْ مرةً..
كي تركبَ الظلمات من مجهولِهِ
واترُكْ!
لِظلكَ شمعةً يَحتاجُها
ليعيشَ لحظة ممسكٍ بأفولهِ
فلهُ
اختيارُ بقائهِ من ضوئها
ولها
اختيارُ ذبولها
وذبولهِ ..!

مقطوعات

شكراً

شكراً لكلِّ الحزن علَّمني
ما لستُ أعلمُ
أنَّهُ الصمتُ
شكراً ..
لأنْ في حنطتي كذبٌ
ولأنَّ أطيبَ
خُبزِها الموتُ
شكراً
أخافُ عليكَ
من لغتي
فلربما لامَتكَ
أو لمتُ

شكراً
لأنَّك لم تزل وطناً
لا يُبتنى في حُضنهِ
بيتُ..!!
شكراً
لأنَّ الروم قد رحلوا
شكراً
لأنَّ الفرس لم يأتوا..!!!

العراق

العراق الذي فرَّ من نفسهِ
مرَّتينْ
العراق هنا ..
وهناك..
وأينْ ..؟!
لم يصدِّق بأنَّ اليدينْ
صارتا بينَ بينْ
لم يصدِّقْ
بأنَّ تواقيعنا
فوقَ كفيهِ دينْ
العراقُ الذي فرَّ من نفسه
مرَّتينْ

مرَّةً نحو شرقِ العمامة
فرَّ...!!
وعاد بلا مقلتينْ
مرَّةً ..
فرَّ نحو جنوبِ العقالِ
وعاد بلا قدمينْ
مرَّةً كانَ يثأرُ
من نفسهِ للحسينْ
وهو الآن يثأرُ من ثأرهِ مرَّتينْ

لم

لم اتبعِ الشمس
لم أُمسك يدَ الماءِ
وما سَرقتُ
نبوءاتي وأسمائي
لم أنفق الحزن
وجهي لستُ أنفقه
وآيـتي
أنــني آويتُ أعدائي
وأنَّنني
لم أصدِّقْ أيةَ امرأةٍ
إنْ أحبَبَتني
وإنْ ذابت بأجزائي

و (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ ..) لا شكَّ صاحِبهُ
ـ لا تحـزنَّنَ،
ولا تُشْكِـكْ بأنبائي
سَكِينَة اللّهُ خُذّها
واتَّـخذْ وطـناً
وقـل لربَّك : زِدْ في خوفِ أبنائي

تحولات

الخمرُ
شهوةُ أنثى
لم تجد رجلا
نامت ..
وقد أطفأت في قَلبها الأملا
وعندما حلمت
بالحزنِ ضاجَعها
ومصَّ من شفتيها
حُلوها قُبلا
لم يبق غير مرارات
تذكرها بطعمِها
حين كانت سكراً خجلا

ويومها
لم تشارك ماءَ حاسدها
ويومها
لم تشارك شهوةً رجلا
وها تبدلَّ وجهُ الكأس
واعتكرت بلونِها
وأبيحت للذي بذلا

قلتُ لها

كوني معي
وتعلمي النسيانا
إنَّ الزمان يضيعُ في من كانا
إني أحـبكِ
في وجوهٍ عـدّةٍ
وأحبُّ فيكِ
بقـاءَ من أبـقانـا
إنّي تعلّمتُ الشقاء
ولـم أزل
من أرضِ حزنكِ
أجمعُ الأحزانا
يا أوّل امرأة عشقتُ ذنوبـها

ما قد مضى منها

وما قد آنا

في كُفِرها

وعصابها

وجنونها

سأكون أغنيةً لها

وأمانا

كانت تضيعُ بحزنها

لا تهتدي

كحمامةٍ

لا تعرفُ الأغصانا

إيمانها أن الحياةَ لئيمةٌ

لا تتقنُ

الغفران والإحسانا

لا شيء عندي

ليسَ لي ما يشبهُ الشعر
لألقيهِ عليكم
ليس لي إلا بقايا نبضاتٍ
حَسبهن الآن يكفين حياتي
نبضاتٍ ليس فيهنَّ احتمال الشعر
والتعبير عن همِّي وهمِّ الآخرينْ
ليس فيهنَّ احتمالُ الفرح الكاذبِ
في عيني حزنْ
ليس لي ما يشبهُ الشعر

لألقيه عليكم
ليس لي نحو الصبايا

ما يُرِدنَ الآن مني
من غزلْ
فأنا العاطلُ عن أنثاي
ما معنى دخولي
في مضامينِ النساء ؟
أنا لا أدركُ معنىً
لدخولي بين أحضانِ امرأة
وأرى الله حزيناً
إنَّه يخلقُ أشياءً وينساها
ولا تنساهُ..
ليس لي ما تَشتهون الآن
كلُي فارغٌ
جوفي بكاءُ الآخرين

أو بكائي.....

داخلي طبلٌ صغيرٌ... اطرقوهُ الآن .....

لا ينطقُ إلا :

- ليس لي حتى وطنْ

وطن

وطنٌ .. شباكٌ .. عنكبوتُ
وطنٌ .. وأحزانٌ بيوتُ
نهرٌ يعلّقُ شامةً بيضاء
أنجبها السكوتُ
وأنا سأولدُ ها هنا ..
وأموتُ في من لا يموتُ

صدقتُ

إلى الصديق الشاعر عارف الساعدي
"هل من المعقول أن نظلَّ أحياء في هذا
الظـرف البغـيض؟ هـل نحـن حقـاً
أحياء؟.. أمواتٌ عند ربهم يكتبون:

صدَّقتُ
أنَّكَ لم تصدِّق
حينما صدَّقتَ
أنَّكَ نجمة للضائعينْ
وعلى شفاهكَ كذبةٌ أطعمتَها
وجعلتَها لغةً

لكلِّ الخائفينْ
ماذا تُسمي الشمس ؟
هل يكفيكَ تَسمِيةُ الحنين
بأنَّه ماءٌ وطينْ ؟
ماذا تسمي الخوف
خَوفي ..
خوفُكَ المشبوهُ
خوفُ الأولينْ؟

نحـــلة

وتلمسنا طريقاً مظلماً
قربَ بُستانٍ على شاطئ دجلةْ
ثم لفَّتها يدي
وجلسنا عندَ نخلةْ
رأسُها يغفو على صدري
تَراخت بعد قبلةْ
شفتاها صارتا
زهرةَ نرجسْ
وأنا أصبحتُ نخلَةْ

متاهة

(١)

كُسِرَ الصدى
فتَعرّقَ الناقوسُ
نَسجتْ ثياب الراهباتِ عروسُ
صُلِبَ الصليبُ على المسيح
خطيئةً أولى
فتابتْ أذرعٌ وفؤوسُ
والليل يطعم شعبهُ
لقماً من المعنى
لتبني صرحها بلقيسُ
فانوسهم عينٌ يتيمة نفسها

كيف اختفى من وجه الفانوسُ
ذنبٌ مضى
ذنبٌ يجيء
وربما كُسرَ الصدى فتعرَّق الناقوسُ

(٢)

شربَ الأذان
مؤذنٌ ومآذنْ
شاخت صلاةٌ في شبابِ مدائنْ
كان الدعاء بلا جناحٍ سائراً في الأرض
بين منازلٍ ومدافنْ
لا لم يَصِلْ للربِّ
خالفَ دَرْبَهُ
ألقى أمانتهُ .. دعاءٌ خائنْ
رمقَ النبيُّ صحابَهُ
أوصاهمُ :
إنَّ الدروبَ على الصحاب كمائنْ
لا تعبثوا بالقولِ.. بالذكرى.. بأنفسكم

وكونوا حِنطَة ومطاحنْ
ذئبٌ مضى
ذئبٌ يجيء
وربما شربَ الأذان مؤذنٌ ومآذنْ

رجفة آدم

لا تحزنْ أبداً
الله رحيمٌ بالشعراء
يَعلَمُ أنْ لا ذنبَ لهم
خَبَّأ عَيناً في طينتهم عندَ القلبِ
قلبٌ وله عينْ
لا بدَّ إذن شاعرْ
لا تحزن أبداً
فلسانُ الشاعرِ من ماءْ
إن مرَّ على طينِ الناسْ
رَجفوا رجفة آدمْ
سارت فيهم روحُ العَالمْ

أغنيتان

لن تجدي مثلي

لا تبحثي..
فستخسرينَ العمر كي تجدي مَثيلي
لا تبحثي..
في الحبِّ لن تجدي بديلي
لا تبحثي..
مثلي أيمكن أن يكون ؟!
لا لن يكون
وستسألين الناس عن معنى جنوني
وستسألين الناس عن لونٍ تشابهُ عيوني
ولتسألي مليون أنثى اسألي
أوَجدنَ في رجلٍ صفاتٍ من صفاتي ؟

أسمعن أغنيةً تشابهُ أغنياتي؟
مثلي أيمكن أن يكون ؟!
لا لن يكون
ستغامرين وتبحرينَ وتغرقين
تُغرينَ آلاف الرجال لتخبريهم
عن بلادٍ كنتُ فيها
ولتخبريهم عن نجومِ الحزن
أسكبها عليكِ
لتجمعيها
ولتخبريهم عن طلوعِ الشمس
من كفيَّ في زمنِ الظلامْ
ولتخبريهم كيف نامَ الناسُ
في عينيَّ كي يجدوا السلامْ
وستسألين الناس
هل وجدوا شبيهي ؟
وسيعجبون !!
ويخبرونكِ:

أنهم في الأرض لن يجدوا شبيها
مثلي أيمكن أن يكون ؟!
لا لن يكون
وتزيني وتعطري
لـفِّي الغيومَ على يديكِ وسافري
عيشي حياتكِ مرَّتينْ
موتي صباحاً أو مساءً ميتـتينْ
سيري مع الأنهار كوني ضفتينْ
وستحزنينَ وتغضبينَ
لأنَّ مثلي لن يكون
أنا ربَّما علَّمتُ خطوتكِ الجريئة
أنْ تسيرَ بكلّ دربِ
أنا ربَّما أطعمتُ
حزنكِ نصفَ قلبي
أنا ربَّما ربّيتُ في عينيكِ صبحا
أنا ربَّما لملمتُ من كفيكِ قمحا
أنا ربَّما أحببتُ أخطائي الكبيرةْ

هل تذكرين ؟
غريقةً في البحر كنتِ
وكنتُ أنا الجزيرةْ
أنا ليس مثلي صدَّقي حزني الأخيرْ
أنا ربَّما كنتُ الغريبَ بأرضهِ
لكنني وطنٌ كبيرْ
لا تبحثي
لا تبحثي
مثلي أُيمكنُ أن يكون ؟ !
لا لن يكون

أبتي

أغنية على لسان فتاة تعاتب أباها
الذي عاد من سفره عاشقاً.

ـ أحبَبْتَها..
حَقاً أبي أحبَبْتَها؟!
من تلكَ يا أبتِ؟ وأين رأيتها؟
أحبَبْتَها..
وأنا أعدُّ زمانك المفقود كي تأتي إلي
والآن ها قد عدتَ لي؟!!
لا شيء غير الحبِّ تحملُ عُدت لي
لكنَّ حُبَّكَ ليس لي !!
فمكَ الذي قد كان قبلني أضحى يُقَبِلُها..

يدكَ التي كانت تُغازلني صارت تُغازِلُها
أحببتَها وأنّا أُحبك مِثلها
أبتي أريدكَ كنْ معي
لا تبقَ دوماً عندها
أبتي غَفوتُ على يديكْ
أبتي أُحِسُّ بما لديكْ
وأنا فتاة لستُ في العشرين
لكني رأيتُ الحبَّ في عينيكْ
أحبَبْتَها ؟!! وأنا أُحبُّكَ مثلَها
لا تبكِ عندي يا أبي
لا تبكِ عندي
اذهبْ لها
واسكبْ دموعكَ عندها
هي قد تحبُّكَ مِثلَنا
أو ربَّما كانت تَراكَ أباً لها
أحبَبْتَها؟!! وأنا أحبُّكَ مثلها

أيتام[1]

[1] يسمى البيت الوحيد يتيماً.

أثمٌ

وبقيتُ بَينهُمُ النبيل أظنُّني
وأظـنُّ بعـض الظنِّ إثـما

*****

تيه

مكانكَ أن تظلَّ بلا مكـانِ
زمانكَ مُستحيلٌ في الزمانِ

*****

نفيٌ

قالوا تنبَّأ، قلتُ بل تَتَنَبَّؤونْ
ما كان كذَّاباً ولكن تَكذِبونْ

*****

حبٌّ

في أيِّ حزنٍ تُراني سوف أتكئُ
في أيِّ معنًى سوى عينيكِ أختبئ

*****

رثاء

مُتْ واسترح ودعِ العناء لكلِّ حَي
قد فزتَ أنتَ ونحن نَخسَرُ كلَّ شَي

*****

بقاء

فلربَّما شاخَ البقاءُ على الفتى
ومضى لغيرِ مُرادهِ وبلادِهِ

*****

قصيدة نثر

وصية المعلـم

السماءُ تتكئُ على نجمةٍ متعبةٍ في عينيه
دموعهُ مصابيحٌ صغيرة
يخبئ حبَّات القمح في حقيبتهِ المدرسية
بين دفاترهِ تولدُ سنابلٌ وفراشات
وها هو الآن
ولد ضائعٌ

❖❖❖❖❖❖❖

يبحثون عنه
يسألون المارَّة
يسألون بائعاتِ الشاي
فتَّشوا الحدائق ، الملاعب، الساحات
نادوا باسمه مراتٍ ومراتٍ
لم يجدوه
وعند أطراف اليأس
في أقصى المدينة
نادى عليهم شيخٌ ضريرٌ:
ـ يا أهلَ الولد الضائع ..
تعالوا إليَّ
ذلك الولد الذي تنادون باسمه
عرفته
أمسَكَ يدي
وأنا أقفُ على الرصيف
عبرنا معاً

توقف فجأةً في وسط الشارع
أصبحتْ يدهُ شتاءً يمسكُ خريفي
سألته ماذا بك ؟
فقال : إنه يحلمُ بالجنَّةِ ..
لأن المعلم قال له :
إنَّه إذا أعانَ شيخاً ضريراً على العبور
يدخلهُ الله الجنَّة
تركتهُ هناك
في وسط الشارع .. يحلمُ يحلمُ وأكملتُ العبور
أظنّهُ الآن عند أبواب الجنَّة

الحرب والأوسمة

لن تَكْتَهِل الحرب
وأنتَ تجمعُ أوسمتها
لم تقتنع
أن الخسارات هي انتصارات
في يومٍ واحد
وبجنودٍ ضعفاء
حرّرتَ الرابية الخضراء
انتصرت فَعَلَّقوا على صدركَ وساماً
اغتاظ أعداؤك
وبعد ثلاثةِ أيام استعادوا الرابيةَ منكَ
ضحكتَ من أعدائك

لأنهم قد استعادوا الرابية
وظلَّ الوسامُ على صدركَ..
انتصروا وعُلِّقَتْ على صدورهم أوسمة
عندها اقتَنَعْتَ
أنَّ الخسارات هي انتصارات
بعد يومين استعدتَ الرابية
هذه المرة
ضحكَ أعداؤك
لأنَّك أخذتَ الرابية
وظلت أوسمتهم على صدورهم
مرة أخرى علَّقوا على صدركَ وساماً آخر
عندها
سمعتَ صوتاً في قلبك يصرخ:
ــ لن تكتهل الحرب

ونحن نجمع أوسمتها
كل هذه الأوسمة لي وللأعداء
من أجل رابية
لا نعلم لمن كانت أولاً
فقد نسينا البداية

في كل مدينة

يقرعون طبولاً خرساء
يسحبون مقابضَ الأبواب بخيوطٍ رفيعة
لتنفتحَ للزائر المتأخر
تنتفخُ أبدانهم
و تتخانق أيديهم
ولا يندُّ عن أحدهم غير صوت الشخير
كلما استطالت أقدامهم
اصطدمت رؤوسهم بمحدِّ السماء
فتبريهم أقلاماً طويلة
ينثرون ملحَ عيونهم على رؤوس الصغار
وسُكَر جباههم على أفخاذ النساء
وخبز صدورهم للنمل

وعلى وجه الشارع المهان بأقدامهم
تلتمعُ شظايا لقناني محطمة وموزعة
كأنياب ذئب ..
هكذا هم..
إنهم هنا وهناك وفي كل مدينة

الأشجار

صباحاً
أرى الأشجار
تنتظرُ الباص
تجرُّ وراءها عطراً مذهباً
وحريراً مضغوطاً
على الجذوع الليّنة
أيتها الأشجار
أين ستخبئين ثمارك عندما يزدحم الباص
بالقاطفين؟
ستتشتبكُ الأغصان
وتدغدغُ بعضها بعضاً
عندها يمتلأ الجوّ برائحةٍ رَخوةٍ
ولعبٍ قديم

***

الأشجار الأخرى تدخل المقهى

تشربُ الشاي

تُدَخِّنُ السجائر

لأنَّها تعلم أنْ في كلّ سجارة خريف يحترق

***

الأشجار المسلحة

توقفني في الطريق دائماً

تُقَلِّبُ هويتي

تسألني عن وجهتي

تُحَدِقُ بقوة في وجهي

وتقول لي :

ــ اذهب

***

الأشجار الكبيرة جداً

تلك التي خلفَ مكتب الوظيفة

هي أشجارٌ هجرتها عصافيرُ الألفة

***

أيتها الأشجار

علميني

أن لا أكون شجرة

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

الماء يكذب : شعر/ بسام صالح مهدي– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧ –

١٠٩ص؛ ٢٠سم.

١- ٨١١,٩٥٦٣ م هـ د مِ

٢- العنوان ٣- مهدي

ع- ١٩٤٤/١٠/٢٠٠٧

مكتبة الأسد